

الترجمة والنصوص الإبداعية

الأستاذة الدكتورة حورية بن سالم

أستاذة التعليم العالي جامعة مولود معمري تيزي وزو

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى الوقوف عند مسار الترجمة عبر الزمن وأدوارها وأبعادها في حياة الأفراد والشعوب والأمم، إذ تمثل قناة من قنوات الرحيل المعرفي، لأن المعرفة تراكم ليس وليد لحظة أو رهين علم، بل هي ثمرة توالد مثلثته عناصر معرفية هي: اللغة، الأدب، الفكر، الأنساق الفكرية والمفاهيم والقيم. وتتوثر هذه العناصر في تطور الحضارات وتأسيس حوارها، ونظرا لأهمية عامل الترجمة في تاريخ الفرد والمجتمع وفي الإبداع الحضاري، راح الإنسان منذ عصور خلت ينقل ما هو متوافر لدى الغيري ليزود به الموجود الثقافي في اللغة المنقول إليها.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، الرحيل المعرفي، التراكم، الأنساق الفكرية، القيم، تأسيس الحوار.

Traduction et textes créatifs

Résumé :

Le but de cette intervention est de revoir la traduction à travers le temps et son importance dans la vie des individus, peuples et nations. C'est un canal de migration de la connaissance, car cette dernière n'est pas une science qui naît spontanément, mais le résultat de la concurrence d'éléments cognitifs : langage, littérature, pensée, structures intellectuelles, concepts et valeurs. Ces éléments influent sur le développement des civilisations et l'instauration du dialogue: face à l'importance du facteur de traduction dans l'histoire de l'individu et de la société et dans la créativité des civilisations, l'Homme s'efforce depuis longtemps à transmettre à autrui ce qui est à sa disposition pour enrichir la langue cible sur le plan culturel.

Mots-clés : Traduction, migration d'éléments cognitifs, cumul, structures intellectuelles, valeurs, élaboration de dialogue.

مقدمة :

تُمثِّل الترجمة الإبداعية فنًّا راقياً، وإطاراً فريداً لتلاقى الفكر الإنساني واستفادة الجنس البشري من خلال اللغة من فنون وعلوم أخرى. بل هي لدى يوسف حسين بكّار فن وعلم في الآن نفسه، يقول: « الترجمة عندي، فن وعلم في آن، وهي - مذ كانت - وسيلة مهمة من وسائل الاتصال بين الأفراد والشعوب، والأهم في ضروب المعرفة كافة ووسيط حضاري ومعرفي لا مندوحة منه»⁽¹⁾، فهي تمثل قناة من قنوات الرحيل المعرفي، لأن المعرفة تراكم وليس وليد لحظة أو رهين علم، بل هي ثمرة توالد مثلثه عناصر معرفية أهمها رحيل الأنساق الفكرية والمفاهيم والقيم. وتؤثر هذه العناصر المعرفية الراحلة إلى مجالات معرفية هي: اللغة، الأدب، الفكر، تأثيراً يسهم في تطور الحضارات وتأسيس حوارها. ونظراً لأهمية عامل الترجمة في تاريخ الفرد والمجتمع وفي الإبداع الحضاري، راح الإنسان منذ عصور خلت ينقل ما هو متوافر لدى الغيري ليزوّد به الموجود الثقافي في اللغة المنقول إليها.

وقد عرف العصر العباسي الأوّل عامة والثاني خاصّة حركة علمية تمثّل بدون شك ركيزة نهضة العلوم العربية والإسلامية والأوروبية. فقد شهد العصر العباسي الثاني اسماً لامعاً في فن الترجمة هو "حنين بن إسحق" الذي يعدّ كألمع مترجم في ظل حكم الخليفة المأمون. فقد كان يتحرى الدقة في ما يترجم حتّى قالوا إنّ المأمون كان يعطيه وزن ما يترجمه ذهباً⁽²⁾.

يعدّ المترجم المؤلّف الثاني الذي يقوم بكتابة نص قبلي يبحث له عند ترجمته عن وعاء لغوي آخر مناسب يسكب فيه، ليأخذ بذلك شكلاً آخر، فهو يظلّ يجتهد في صوغ أفكار غيره في ثوبٍ جذاب يستحسنه المتلقي. ويشترط من النص المترجم أن ترقى لغته إلى حماية روح النص الأصلي سعياً لإبقائها، لئلا يصير نصاً فاقدًا لأصالته وهويته وذوقه الجمالي وجانبه الفني، وأن يكون حاملاً

لمعناه الشامل، الكامل، وألاً تحدث الترجمة فجوات بإسقاط حلقة من حلقاته المتماسكة والمتلاحمة تلاحماً شديداً، علماً بأن نقل أفكار الغير أعسر من التعبير عن آراء الشخص الأصلية، فالمؤلف حينما يصوغ أفكاره الخاصة، فإنه يتمتع بحرية كبيرة في تطوير اللغة حتى تواتي هذه الأفكار، بل حتى تطوع الأفكار في الآن نفسه لنتناغم مع اللغة ومن هنا يجعل المترجم اللغة هي الموضوع والموضوع هو اللغة. فالترجمة لا تعد نقلاً فحسب، كما يتصور الكثيرون، بل هي فيما يذهب صاحب المقتطف الدكتور يعقوب صاروف صعبة وأصعب من التأليف.

فقد اضطر بعض مترجمي العصر العباسي الثاني إلى إعادة ترجمة بعض مما ترجم من الكتب عن اليونانية إلى العربية نظراً للفجوات التي امتلأت بها ترجمات العصر العباسي الأول. كما هو الحال في ما ترجمه الحجاج بن مطر وغيره في عهد المأمون، لأن الترجمة وقتئذ كانت في بدايتها، وفي مهدها، لأن الترجمة في حقيقتها حرفة، لا يرتقي إلى مصافها إلا بالموهبة المصقولة والممارسة المستمرة، لما فيها من معاناة وحضور ووعي. ويظل النص المترجم والمنقول إبداعاً في حد ذاته⁽³⁾.

جهود المترجمين:

أفرد ابن النديم في مؤلفه "الفهرست" فهرساً بأسماء المترجمين من الفارسية إلى العربية من مثل: ابن المقفع، الحسن بن سهل، وآل نوبخت⁽⁴⁾. ومن المعاصرين نلفي: صادق هدايت، أبو القاسم حالي، عبد اللطيف النشار، بدر توفيق، محمد جميل العقيلي، أحمد الصافي النجفي، ومصطفى وهبي التل، وعبد الحق فاضل، وطالب الحيدري. والأعمال التي ترجمت من الفارسية إلى العربية نذكر على سبيل المثال لا الحصر: رباعيات الخيام^(*)، (ولها أكثر من ستين

ترجمة عربية بالفصحى والعامية⁽⁵⁾، "قاموس نامة" (كتاب النصيحة)، "سياست نامة" (كتاب السياسة)، "سندباد نامة" (كتاب سندباد)⁽⁶⁾.

كما ترجمت بعض الآثار العربية إلى الفارسية من مثل: تفسير الطبري، ومروج الذهب، ومقدمة ابن خلدون، ورحلة ابن بطوطة، وأشعار نزار قباني، وأشعار فدوى طوقان، وأشعار محمود درويش.

وقد ترجم البرامكة في العصر العباسي الأوّل الثقافة الفارسية إلى العربية وقد ترجموا كتاب "هزار افسانه" الذي يمثل أصل "ألف ليلة وليلة" كما ترجم ابن عبد الحميد بن لاحق كتاب "كليلة ودمنة" إلى الشعر وأهداه إلى جعفر بن يحيى البرمكي⁽⁷⁾. كما قام أبو المعالي نصر الله بترجمة كتاب في النثر الفارسي هو "كليلة ودمنة".

وترجم فرانسوا فولتير François Voltaire مسرحيات وليم شكسبير من الإنجليزية إلى الفرنسية. ويعد المستشرق أنطوان جالون Antoine Galland أوّل من ترجم "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية. وترجم إدوارد فنتزجيرالد "رباعيات الخيام" إلى الإنجليزية في أربع طبعات حوت كلّ واحدة مائة بيت وواحد. كما ترجم محمد بن جابرستان كتاب "الحيوان" لأرسطو الذي ألّف الجاحظ كتابه "الحيوان" على منواله.

خصوصية الترجمة الابداعية:

إن المترجم الحصيف هو الذي يكون حريصاً على سلامة تراكيب اللغة التي يوظفها في الترجمة حتّى يجنبها الانحراف أو التجاوز الناجم عن قلة الدراية ونقص الإطار المعرفي والخلفية المعرفية، لأن نظام تركيب اللغة هو هيكل اللغة العظمي وعمودها الفقري وأي تشويه فيه يؤدي إلى تشويه اللغة والقضاء عليها⁽⁸⁾. لأن المترجم عرضة لكثير من المزالق والأخطاء لما بين اللغات من تداخل واقتراض لغوي تتغير فيه معاني كثير من الألفاظ ودلالاتها في اللغات

الهدف، مثلاً: كلمة "طبيعة" في العربية، فالمترجم العربي ينطلق من موقع غير موقع الكاتب اليوناني، أو ينطلق من موقع الله خالق العالم والطبيعة، إذن فالطبيعة عند المترجم شيء وعند أرسطو شيء آخر - ومن هنا، نرى أن مفهوما ما عندما ينقل في القرن الثاني الهجري يكون مختلفاً في دلالاته عندما ينقل مرة أخرى في القرن الرابع من اليونانية إلى اللغة العربية⁽⁹⁾.

وقد نجم التواء أساليب المترجمين عن الأساليب العربية السليمة واتبعوا الجملة السريانية للجملة اليونانية ونقلوا من هذه السريانية المتأثرة باليونانية إلى اللغة العربية متحررين الترجمة، لأن الترجمة الحرفية هي ترجمة لا ماء فيها ولا رونق والتي تؤدي، في أغلب الأحيان، إلى الجناية على المعنى⁽¹⁰⁾.

وأهم الأسباب أن اتصالهم بالعربية وثقافتها لم يكن عميقاً ولا وثيقاً. يقول الجاحظ: « ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن عمله في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه، أيضاً قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد ادخل الضيم عليهما، لأن كلّ واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعرض عليها. وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، تمكنه إذا انفرد بالواحدة... »⁽¹¹⁾.

وبيزيد وديع فلسطين الأمر وضوحاً قائلاً: «ولا بدّ لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي كتب بها، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذها وشواردها. ولا بدّ قبل النقل من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص»⁽¹²⁾.

وقد سبق للمترجم "أيتن دوليه" "Etienne Dolet" ووضح أول نظرية للترجمة التأكيد على ضرورة معرفة المترجم للغة المصدر والهدف، وقد جعله واحداً من مبادئ خمسة أساسية للترجمة: فقال: « لا بدّ أن يكون المترجم على معرفة رفيعة، تامة باللغة التي يترجم إليها»⁽¹³⁾. وقد عبّر البلغاري "س. فلورين"

عن هذا كله بقوله: «على المترجم قبل كلّ شيء أن يمتلك زمام اللغة التي يترجم منها، وأن يكون على معرفة أوسع بتخوم اللغة التي يترجم إليها»⁽¹⁴⁾. وبضيف يوجين نيدا: «يتمثّل أوّل وأوضح مستلزم يحتاجه أي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر. فلا يكفي أن يكون المترجم قادراً على فهم (المغزى العام) للمعنى أو أن يكون ماهراً في استشارة القواميس... إنّ الأهم من ذلك هو معرفة المترجم بموارد لغة المصدر وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي... التطلع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل، إن أغلب الأخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون تنشأ في المقام الأوّل من افتقارهم إلى المعرفة الشاملة بلغة المتلقي...»⁽¹⁵⁾. لأن معرفة اللغة عامة شيء وامتلاك معرفة خاصة بموضوع معين شيء آخر، فهو بحاجة إلى إطلاع شامل بمادة الموضوع المعنية ويجب أن يمتلك أيضاً شيئاً من الخلفية الثقافية التي يمتلكها المؤلف الذي يترجم منه⁽¹⁶⁾، فإنّ الترجمة ليست مجرد انتقال من لغة مصدر إلى لغة هدف، بل هي انتقال من لغة موسومة بتجارب متكلميها إلى لغة موسومة بتجارب متكلمين لغة أخرى. لأن الترجمة لا تنحصر فقط في إحلال وحدات لغوية أو نحوية، فترجمة التعابير الاصطلاحية تثير مسألة علاقة المعنى بالترجمة، لأن الاصطلاحات تتميز بالتوجه ذي المدلول الثقافي والمعرفي⁽¹⁷⁾. فالأصل يفقد روعته إذا أفرغ في قالب غير قالبه، فيضيع فيه معناه.

فقد ترجم عدد من المترجمين الأجانب والعرب لفظتي "جام جم" في إحدى رباعيات عمر الخيام، اعتماداً على المعنى اللغوي الحرفي المعجمي أي "كأس جمشيد" بمعنى أحد ملوك الفرس القدماء أي كأس جمشيد التي كان يشرب بها الخمرة.

بنگرزیهانچه طرف بریستم، هیج!

وز حاصل عمر چیستدرستم، هیج!

شمع طربم، ولي چونبنشتم، هيچ!
 من "جام جم"، ولي چویشكستم، هيچ!
 ولكن الترجمة الصحيحة للفظتي "جام جم" الكأس أو مرآة ذات أسرار
 عجيبة مدهشة نقشت عليها صور النجوم والأقاليم السبعة بخطوط هندسية تشبه
 خطوط الاضطراب ودوائره بحيث تعكس ما قد يقع من أحداث في نقاط بعيدة
 من الكرة الأرضية، وبحيث تعرف بها أحوال العالم خيرها وشرها. والترجمة
 الدقيقة للرباعية هي:

أنعم النظر تجد أنني خرجت من الدنيا صفر اليدين،
 ولم أجن، طوال عمري، شيئاً⁽¹⁸⁾.
 هب أنني شمعة مجالس الطرب، فما جدواي حين احترق،
 وهب أنني مرآة "جشميد"، فما فائدتي حين انكسر؟!
 كما نلني إشكالية ترجمة اصطلاح "جهره كهريا" في الرباعية الآتية:
 أي همنغسان مرابه مي قوت كنيد
 وين "جهره كهريا" چو ياقوت كنيد
 چون مرده شوم به مېشوييد مرا
 وزچو ب رزمخته تابوت كنيد.
 وتعني لفظتا "جهره كهريا"، "الوجه الأصفر الشاحب". ومن معاني لفظة
 "كهريا" - وهو المراد هنا - "مادة صمغية اللون شفافة"... أما لفظة "كهرياء"
 المستعمل في عربية اليوم والمعربة عن الفارسية، فيقابلها في الفارسية لفظة "برق"
 العربية⁽¹⁹⁾. إنَّ جهل المترجم مصطفى وهبي التل بالمعنى جعله يتخطى
 الاصطلاح ولم يترجم اللفظتين وترجم الرباعية ترجمة غير دقيقة وهي:
 اللهم يا ندامى سم قاتل، ونبت العنب هذه ترياقه الشافي،
 فجددوا شبابي بجرعة من هذه الحقيقة الحمراء.

واغسلوني، إذا مُتَّ، بآبنة الكرمة،
وكفّوني بأوراقها، وادفوني في جذع شجرتها.
أما أحمد الصافي النجفي فقد أورد معنى اللفظتين كما هو في لغته الأم،
لغة المصدر، دون أن يشرح معناها لجهله بالمعنى الصحيح. يقول النجفي:
اجعلوا قوتي الطّلا، وأحيلوا
كهرباء الحدود للياقوت
وترجمتها الدقيقة:
أقبتوني الخمرة يا صحّاب،
واحيلوا صُفرة الخدين ياقوتا.
وإذا مُتَّ أغسلوني بالراح،
ومن كرمها اصنعوا نعشي⁽²⁰⁾.

ومن هنا، تتطلب الترجمة معرفة كافية بمعجم اللغة المصدر ومعجم اللغة
الهدف ويرجع ذلك إلى اختلاف تجارب المتكلمين مع العالم الخارجي، وما يترتب
عنها من اختلاف خلفياتهم الثقافية واختلاف الحقول اللغوية والدلالية.
تخطّت "رباعيات الخيام" بفضل الترجمة الحدود الإقليمية التي أبدعتها لتنتشر
في آداب أوروبا وأمريكا⁽²¹⁾ وفي الآداب العربية تأتي أكلها يانعة، بعد أن كانت
محصورة في فارسيتها حتّى أنّها سمحت للإنجليز أن يطلعوا على نصوصها
الإبداعية وجمالياتها. واعترافاً بأدبية نصّها وجماليته، تمّ إدراجها ضمن مختارات
الشعر الإنجليزي الخالدة في مؤلف "The englishparnassus"، كما تأثر الفارابي
بأرسطو وأفلاطون، وقد كتب "آراء أهل المدينة الفاضلة" على غرار "الجمهورية"
لأفلاطون، إلا أن كتاب الفارابي جاء متشبعاً بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، مدركاً
عن وعي المقصود أو المقصدية من العمل المنقول. إذ يورد الفارابي في كتابه « أن
الحاكم ينبغي أن يكون متحلياً بكلّ الفضائل الإسلامية والفلسفية متجنّباً اللذات
الجسدية، إذ فيه تتمثل المدينة بخيرها وشرّها، وفسد الحكم فيها فساداً شديداً... ونحن

إنّما لمسنا السطح فقط لتطور فلسفة الفارابي. وهي كما تبدو جليّة، واضحة، بيّنة، فلسفة إسلامية، عقلية، استمدت من روحانية الإسلام ومن نظريات العقل ومن أفكار الفلاسفة وخاصةً أرسطو وأفلاطون مازجة بين العناصر جميعا مستخلصة منها فلسفتها الإسلامية...»⁽²²⁾. وظهر أثر ترجمة "ألف ليلة ليلة" ظهورا جليا، واضحا، في نص قصة شهرزاد ملكة الذي ألفه عبد الرحمن جبير، كما اغترف من نص كليلة ودمنة ليكتب قصة الصراع العنيف، الذي يدور في كلّ عصر حول طرائق وسبل الحكم⁽²³⁾، ويرى أحمد زكي أن وظيفة العلاقة الإبداعية لكتاب "ألف ليلة وليلة" تتجلى وتتمظهر واضحة، بائلة في فهمها وتأثيرها في الخيال العربي ثم في الخيال الأوروبي بعد أن نقلت إلى اللغات الأوروبية.

وكان جومانفلنچ فون جوته Goeth أكثر الأدباء تأثرا بالشرق عموما وبألف ليلة وليلة خصوصا، تشير كاتارينا مومزن في رائعته النقدية: "جوته (Goeth) والعالم العربي". في تتبع وتقف عن كُتب لآثار ألف ليلة وليلة في أعمال جوته فتقول: « ونعثر في حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من "ألف ليلة وليلة" كما هو الحال في حكاية "باريس الجديدة" "Der neuve Paris"»، وميلوسيته الجديدة Der neuvemeluseire مثلما ينطبق على الحكاية الخرافية التي وردت في قصته "أحاديث مهاجرين ألمان"، وقد كانت "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري الأنموذج الذي اقتبس منه دانتي ليكتب رائعته "الكوميديا الإلهية"⁽²⁴⁾.

ويدل هذا دلالة واضحة على مدى التفاعل الترجمي ودوره في عملية الإبداع التي لا تتوقف حركتها جيئة وذهابا بين الشعوب عند اتصالها ثقافيا، فهي إذن، ضرورة حضارية، فنية، تاريخية، إنسانية.

إحالات :

- 1 - يوسف حسين بكّار، الترجمة الأدبية، إشكاليات ومزلق، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص 5.
- 2 - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص 113 - 114.
- 3 - ينظر: أحمد كمال زكي، مجلة فصول، شتاء، 1994، ص 15.
- 4 - ينظر: ابن النديم، الفهرست، تحقيق محمد رضا تجدد، طهران، 1971، ص 305.
- * - وأهم موضوعات رباعيات عمر الخيام تدور في فلك جواباته الفلسفية عن مسائل تتصل بالخلق والخالق، الكون والتكليف.
- 5 - ينظر: يوسف حسين بكّار، الترجمات العربية لرباعيات الخيام، الدوحة، 1988.
- 6 - ينظر: يوسف حسين بكّار، الفارسية وآدابها في البلاد العربية، نشره د/نشكدة الهيات ومعارف إسلامي دانسگاه مشهد، شمارهن 12، پائيز، 1353 شمسي، 1974م.
- 7 - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص 113.
- 8 - ينظر: عفيف دمشقية، أثر اللغات الأجنبية في اللغة العربية المعاصرة، مجلة قضايا عربية، العدد 1، كانون الثاني 1970، ص 145.
- 9 - ينظر: يوسف حسين بكّار، الترجمة الأدبية، إشكاليات ومزلق، مرجع سابق، ص 18.
- 10 - ينظر: كتاب أرسطو طاليس في الشعر، (نقل مئّي بن يونس)، شكرعي، تحقيق وترجمة ودراسة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 166، 179.

- 11 - الجاحظ، الحيوان، ج 1، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1969، ص 76.
- 12 - محمد عوض محمد، فن الترجمة في الأدب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969، ص 27.
- 13 - يوجين نيدا، نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد النجار، وزارة الإعلام، بغداد، 1976، ص 45.
- 14 - فلوري (س)، الطرق الضرورية في كتاب "فن الترجمة"، ترجمة: حياة شرارة، الموسوعة الصغيرة (رقم 34)، بغداد، 1979، ص 50.
- 15 - يوجين نيدا، نحو علم الترجمة، مصدر سابق، ص ص 293 - 294.
- 16 - طارق عبد الله جواد، دراسة في حدود الترجمات، مجلة البيان، الكويت، العدد 219، 1984، ص 131.
- 17 - يوجين بندا، نحو علم الترجمة، مصدر سابق، ص 466.
- 18 - ينظر: يوسف حسين بكّار، الترجمة الأدبية، إشكاليات ومزالق، مرجع سابق، ص 102 وما بعدها.
- 19 - يقول محمد محمدي « فكأن اللغة العربية استعارت... لفظة كهرياء نظرا لخاصتها المغناطيسية، واللغة الفارسية استعارت لفظة "برق" لخاصتها في الإنارة واللمعان». ينظر: محمدي محمد، من الظواهر الطريفة بين العربية والفارسية، مجلة الدراسات الأدبية، العدد 3، خريف 1960، ص 237.
- 20 - ينظر: يوسف حسين بكّار، الترجمة الأدبية، إشكاليات ومزالق، مرجع سابق، ص ص 117، 119، 120.
- 21 - ينظر: غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1977، ص 127.

- 22 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص 142.
- 23 - ينظر: أحمد زكي، عن ألف ليلة وليلة، فصول، شتاء، 1994، ص 23.
- 24 - ينظر: علي شلق، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، شرح وتحقيق، بيروت، دار القلم، 1975، ص 16.